السردية الفلسطينية

المسارات الممكنة والأدوات المتخيلة لتعظيم التضامن الدولي

جهاد حرب

رؤى - مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية
Center for Political & Strategic Studies - RŪA

برنامج السردية الفلسطينية

تشكل السردية الوطنية أداة مهمة لإثبات الحقوق أو أساس علاقة الوجود لأي شعب في بلده، وهي عنصر رئيسي لتثبت حقيقة ارتباطه بالأرض في إطار ما يعرف بالوطنية تصيغ بموجبها الهوية الخاصة بالشعب وتمثلاتها ومظاهرها المختلفة؛ بما فيها الفن بأشكاله المختلفة من فلكلور شعبي وصور الارتباط الوجداني بالأرض. لا تركز الرواية التاريخية لدى الفلسطينيين على الحق في امتلاك هذه الأرض بل تأتي في إطار الصراع مع الحركة الصهيونية، ومن ثم إسرائيل، حيث يقدم الفلسطينيون روايتهم كنقيض للرواية الصهيونية ولدحض الأسس التاريخية لروايتهم باعتبارهم الضحية المجني عليها في سياق الصراع الاستعماري والتمييز العنصري المسلط عليهم.

تقدم السردية الفلسطينية ذاتها، بهذا المعنى، من خلال التعريف بالرواية التاريخية ليس فقط عبر تسلسل تاريخي أو الروايات الشخصية والقصص المتعلقة بالأشخاص بل في السياق العام الذي عايشه الشعب الفلسطيني عبر الزمن وارتباطه بالأرض، وتعبير عن الظلم الذي لحق بالفلسطينيين على يد الاستعمار الإسرائيلي، وتعرضهم لإشكال متعددة من التطهير العرقي التي مارستها الحركة الصهيونية باقتلاع الفلسطينيين من ارضهم في العام ١٩٤٨ وتهجيرهم بالقوة المسلحة منها، ومن ثم الاحتلال العسكري لما تبقى من أرض فلسطين "الضفة الغربية وقطاع غزة" والعنف الممارس ضد الفلسطينيين عبر أشكال متعددة ليس لحرمنهم من حق تقرير المصير فقط بل لاقتلاع ما تبقى منهم في هذه المناطق.

مثلت جريمة الإبادة الجماعية "كما وصفتها تقارير دولية متعددة وهي منظورة أمام محكمة العدل الدولية" في قطاع غزة، التي شاهدها العالم مباشرة، على يد الحكومة الإسرائيلية بعد السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ تحولاً نوعياً في فكر الفلسطينيين لناحية مضامين السردية الفلسطينية وتوجهاتها وأشكال التعبير عنها، ولناحية الانطلاق نحو العالمية بغزارة الإنتاج عبر الفضاء الالكتروني بتوظيف الأدوات التقنية والديجيتال والمنصات اللازمة.

إن تفوق السردية الفلسطينية إثر جريمة الإبادة الجماعية التي أطلقتها الحكومة الإسرائيلية في قطاع غزة ومعاناة الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية بسبب إجراءات الاحتلال الإسرائيلي لا يعتمد فقط على القدرة على سرد القصة، بل يعتمد أيضا على قوة الحقائق والمصداقية والشرعية الدولية. هذا التفوق يعزز من الأمل في تحقيق العدالة والسلام في المنطقة، ويظهر أن قوة الكلمة والصورة يمكن أن تكون أداة فعالة في المعركة. لكن بالرغم من التفوق الملحوظ للرواية الفلسطينية، إلا أنها تواجه تحديات كبيرة؛ فالقوة الإعلامية والسياسية لإسرائيل، ودعمها القوي من بعض الدول الكبرى، تشكل عقبات أمام تعزيز الرواية الفلسطينية. بالإضافة إلى ذلك، تعاني الرواية الفلسطينية من تباين داخلي في بعض الأحيان، بسبب الانقسامات السياسية بين الفصائل الفلسطينية المختلفة.[١]

تهدف هذه الورقة إلى فتح آفاق لتمكين الفلسطينيين وبشكل الخاص الشباب من الانخراط الواسع والآمن في تقديم الرواية الفلسطينية لقضيتهم الوطنية وقضاياهم ومعاناتهم وأمنياتهم وطموحاتهم عبر مسارات وأشكال متعددة تحفظ لهم امكانية الانتشار العالمي.

تقدم هذه الورقة مسارات متعددة للعمل في مجال تعزيز سردية الفلسطينيين لحقهم التاريخي في أرضهم، وتقديم روايتهم بأشكال متعددة للحفاظ على العلاقة بين الانسان والأرض، وتعظيم استثمار التراث الشعبي والفلكلور الوطني، ومبادرات تعمل على تعزيز الروابط بين مختلف مكونات الحركة الفلسطينية الناهضة والمعبرة عن الرواية الفلسطينية من جهة، والانتقال من المحلية المتمثلة بمخاطبة الفلسطينيين للحفاظ على تاريخهم وتناقلهم لإرثهم التاريخي إلى العالمية لتعزيز التضامن الدولي مع الشعب الفلسطيني وقضيته.

مفهوم الهوية السردية:

الهوية السردية، سواء أكانت للفرد، أم لجماعة تاريخية، تتعيّن بوصفها هوية الشيء الذي يظل نفسه في التغيير وخلاله، فهي الموقع المنشود لتفاعل السرد والخيال. وبهذا المعنى، تتعين الهوية السردية بوصفها ذلك الضرب من الهوية الذي يكتسبه الإنسان من خلال وساطة الوظيفة السردية، سواء كانت هناك تجربة أساسية تدمج بين السّرد التاريخي والسرد الخيالي. لذا الحياة البشرية تغدو أكثر قابلية للفهم والإدراك حين يتم تأويلها في ضوء القصص التي يرويها الناس عنها، كما أن محكيات الحياة بدورها تصير قابلة لأن تفهم عندما يطبق عليها الإنسان النماذج السردية المستمدة من التاريخ والخيال. فالنماذج السردية هي التي تضفي التماسك والانسجام على الهوية السردية كما تتجلى في السيرة الذاتية مثلًا، حيث يحرص كاتب السيرة الذاتية على منح هويته شكلًا معقولًا ومتماسكًا. [٢]

تقوم "الهوية السردية" على فكرة مفادها أن كل فرد يمتلك نفسه، بل يشكلها في سرد ذاتي متجدد باستمرار. هكذا لا يتعلّق الأمر، إذًا، بقصة موضوعية، وإنما بالقصة التي "أنا" أرويها لنفسي، بوصفي كاتبًا وقارئًا لحياة هي حياتي أنا. وعليه، تتشكل الهوية الشخصية من خلال المحكيات التي تنتجها، وتلك التي تدمجها باستمرار. وعند قيام المرء بالسرد يتم تحويل الـ"أنا" ليس فقط من خلال السردية الخاصة، ولكن أيضًا من خلال المرويات المنقولة عن طريق التقاليد، أو الأدب، مما يؤدي باستمرار إلى إعادة بناء التاريخ الشخصي بأكمله.

إن السرد هو أحد الأدوات الأساسية لفهم الذات والآخر؛ فالوجود الإنساني هو وجود مورّط في السرد. "إن اتصالنا بالعالم هو اتصال موسط بالسرد، فهو لا يتم إلا عبر وساطته، والعالم والقصة التي نحن مورطون فيهما يتقاطعان، حيث لا يوجد العالم إلا في القصص التي نرويها، إنه موجود في القصص التي يكون الإنسان طرفًا أساسيًا فيها، فاعلًا أو منفعلًا"[٣]. وعلى هذا الأساس، تبدو الهوية السردية ديناميكية وهشة؛ فهي ليست مستقرة، وليست ثابتة، وإنما هي معرّضة دائمًا لفقدان الاستقرار بسبب التنويعات الخيالية. إنها نتيجة بحث غير نهائي أبدًا، دائمًا قيد الإنشاء (إعادة البناء)، وبالتالي فهي تشهد على التوازن غير المستقر بين امتلاك الذات وضياعها.[٤]

يعد السرد كفعل وسيلة لإنتاج الأفعال السردية بوصفها مكونات متداخلة من الحوادث والوقائع والشخصيات التي تنطوي على معنى؛ فهي نوع من وسائل التعبير، والمروي يعد محتوى ذلك التعبير، باعتبارهما مظهرين متلازمين من المظاهر التي لا يتكوّن أي خطاب سردي من دونهما. بحيث تحتوي النماذج السردية الكونية، مفهوم السردية ضمن كل الخطابات، بما فيها الخطابات العلمية، أو تلك التي تختص بوصفات إعداد الطعام، فبالإمكان، بذلك، استعادة النشاط الإنساني المدرج ضمن وضعيات معينة، من خلال خطط تتضمن كل ممكنات الفعل، كما يمكن تصريفها في وضعيات مألوفة.[٥]

إن الفعل، استناداً إلى ذلك، ليس فردياً كما يبدو في الظاهر، إنه يعبّر عن حالة تفاعل بين الذات التي تفعل مع المحيط الاجتماعي الذي يستوعب هذا الفعل ويقوّمه ويدفع إليه أو يشجعه أو يعوق تحقيقه، إن الذاكرة الفردية ليست كذلك إلا إذا كانت جزءاً من ذاكرة كلية، ومن دون ذلك لا يمكن الحديث عن رواية، وبعبارة أخرى، يساعدنا السرد على إدراج تجربتنا الفردية المحدودة في الزمان ضمن ذاكرة أوسع وأشمل هي الذاكرة الجماعية "العقل الجمعي".

١ أدهم حسانين، "السردية الفلسطينية في مواجهة السردية الإسرائيلية في ظل 'طوفان الأقصى'،" عربي٢١، ١١ يونيو/حزيران ٢٠٢٤.

٢ بول ريكور، الزمان والسرد، ترجمة سعيد الغانمي، الجزء الثالث، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ٢٠٠٦، ص٢٥١.

٣ انظر/ي: إدريس الخضراوي، بناء الهوية السردية مجلة الكلمة - بناء الهوية السردية

٤ المصدر السابق.

٥ انظر/ي عثمان مشاورة، في مفهوم السردية ومكوناتُها -

السرد، في معناه البسيط، كما جاء في لسان العرب، مفاهيم مختلفة، تنطلق من أصله اللغوي، الذي يعني – مثلاً – التتابع في الحديث، يقال سرد الحديث ونحوه، يسرده سرداً، إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سرداً، إذا كان جيد السماع له. ويقابل السرد، في المنجز النقدي الغربي، كلمة narratology التي جذرها narrate بمعنى سرَد، وقصَّ، وروى، لكن مصطلح narrative وهو صفة، يُترجم إلى المَروي، أو المحكي، فالسرد، كمصطلح نقدي حديث، نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورتها اللغوية. ويعدّ مصطلح السرديّة (Narratology) مصطلحاً حديثاً نسبياً، دخل دائرة الاستخدام في فرنسا تحت تأثير البُنيوية، حيث يُشير إلى الدراسة النظرية وتحليل السرد. ويعدّ تزفيتان تودوروف هو مَنْ ابتكر هذا المصطلح عام ١٩٥٩ بعد أن شكله من كلمة (narrative logy) أي سرد وعلم ليحصل على مصطلح علم السرد أو السردية، على أنه العلم الذي يُعنى بمظاهر الخطاب السردي أسلوباً وبناء ودلالة، ويُحيل السرد بوصفه المادة الأولية لهذا العلم على أنه: نظام لغوي يحمل حادثة أو سلسلة من الحوادث على سبيل التخييل، وهو فن تنظيم هذه المحمولات بوصفها شكلاً فنياً منتظماً بعلاقات وقواعد وأبنية داخلية تنظم عمل السرد، وذلك انطلاقاً من جذره العربي الذي يعني التنظيم وصولاً إلى المفاهيم الحديثة .
المصدر: عثمان مشاورة، في مفهوم السردية ومكوناتُها -

التمايز بين الرواية والسردية والتاريخ

تمثل الرواية والسردية والتاريخ ثلاثة مستويات مختلفة لفهم المسألة الفلسطينية؛ فالرواية تتعلق بلحظة أو لحظات نشوء النكبة الفلسطينية "التحول الاجتماعي والسياسي للشعب الفلسطيني"، بحيث تعمل بوصفها رواية رمزية مكثفة تهدف إلى إنتاج معنى لحدوث النكبة وتعمل على الإجابة على عدة أسئلة مثل: كيف نشأت؟ ومن هم الذين قاموا بإحداثها؟ وما هي الآثار المترتبة عليها؟، والرواية بطبيعتها انتقائية يتم كتابتها عادةً بلغة رمزية ملحمية أو شبه أسطورية لتمنح الشرعية؛ فهي ليست مطالبة بالحياد لكنها مطالبة بالتماسك الرمزي والقدرة على توحيد الذاكرة الجماعية. أما التاريخ الوطني فهو حقل معرفي علمي نقدي توثيقي، يتعامل مع الوقائع بتعدد مصادرها، يقبل التناقض ويخضع لمنهج البحث والمراجعة المستمرة، دون سعي إلى إنتاج معنى سياسي جاهز، بل يهدف إلى فهم ما جرى كما جرى، بكل تعقيداته ونجاحاته وإخفاقاته.[٦]

تقع السردية في موقع وسيط وديناميكي بين الرواية الوطنية والتاريخ الوطني، فهي ليست لحظة ولادة المسألة وليست أيضاً أرشيف وقائع، بل هي الإطار التفسيري المتجدد الذي يربط الماضي بالحاضر والمستقبل، ويشرح كيف يفهم الفلسطينيون ذاتهم اليوم ويوضح معاناتهم ويبرر مشروع نضالهم وتطلعاتهم. وتظهر السردية الوطنية كمحاولة لصناعة المعنى؛ معنى الانتماء المشترك ومعنى المأساة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، وهي نتاج حي لتفاعل ثلاثي لا ينفصل، المكان والإنسان والزمان، كإطار جامع ينتصر الفلسطينيون كافة له. وبهذا المعنى فالسردية الوطنية ليست مقولة نهائية، بل هي حية تبنى على العلاقة بين الماضي والمستقبل.[٧] فالسردية ليست مجرد رواية أو تأريخ للأحداث، بل هي بنية فكرية ومعرفية تنتج المعنى، وتحدد من يسمع صوته، ومن يهمش، ومن يبجل، ومن يجرم.[٨]

٦ انظر/ي السردية الوطنية ... مقاربة أخرى | صحيفة الرأي

٧ انظر/ي السردية الوطنية ... مقاربة أخرى | صحيفة الرأي

٨ انظر/ي غانية ملحيس، من إبادة غزة إلى إعادة بناء السردية العالمية: فلسطين كمركز للمعنى كيف ننتقل من التشخيص إلى التنفيذ؟

مكونات السردية الفلسطينية[9]

تحتل السردية والرواية، في ظل الصراع[10] الفلسطيني والإسرائيلي، دوراً محورياً في تشكيل الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو الدولي وتوجيه السياسات، فطرح مكونات السردية هنا تأتي لفتح الافاق للمرتكزات التي يبني الفلسطينيون عليها سرديتهم ونقاط قوتهم. تستند السردية الفلسطينية إلى عدد من المكونات؛

أولًا، أنّ فلسطين التاريخية هي وطن شعبها الفلسطيني بكافة مكوناته الثقافية والاجتماعية والدينية من مسلمين ومسيحيين ويهود، وأنهم قد عاشوا فيها آلاف السنين تعرضوا خلالها لغزو واحتلال لكنهم صمدوا وقاوموا، وأن فلسطين ليست وطنا لأي شعب آخر.

ثانياً: أن الحركة الصهيونية جزء من الاستعمار الأوروبي الذي احتل أراض عربية ومن بينها فلسطين وسخر خدمته لمصلحتها، وأن إعلان بلفور في هذا السياق هو جزء أساسي من هذا التسخير رغم بطلان هذا الوعد الذي أطلقته بريطانيا الاستعمارية، وهو وعد لا حق لها ولا صلاحية في إعطائه لأن الأرض ليست أرضها لتعطيها، ولأن شعب فلسطين شكل آنذاك الغالبية العظمى من سكان فلسطين وامتلك الغالبية العظمى من أرضها، وأن الحركة الصهيونية هي حركة أوروبية غريبة عن أرض فلسطين وليست جزء من مكوناتها. وترفض الرواية الفلسطينية في هذا السياق أي ربط بين المحرقة التي تعرض لها اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية وحق اليهود في وطن خاص بهم وذلك لأن فلسطين لم تكن طرفاً في المحرقة ولا يجوز بأي حال تحميلها مسؤولية حماية اليهود من مذابح جديدة إن كان ذلك سيأتي على حساب وجودهم.

ثالثاً: تستند السردية الفلسطينية إلى أن المسؤولية عن مأساتهم تقع على عاتق إسرائيل وبريطانيا وأنظمة عربية التي خذلتهم وذلك دون إهمال مسؤوليتهم الذاتية بسبب انقسامهم وضعفهم. فقد ساعدت دولة الاحتلال "بريطانيا" اليهودَ على الهجرة إلى فلسطين بأعداد كبيرة.

رابعاً: يرى الفلسطينيون أن إسرائيل هي المسؤولة المباشرة عن نكبتهم عام ١٩٤٨ "الكارثة" أي فقدان وطنهم للصهاينة أو ولادة إسرائيل، وفقدان معظم الفلسطينيين منازلهم وممتلكاتهم، وخلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين. فقد أُجْبِرَ الفلسطينيون على العيش كلاجئين في المخيمات في الضفة الغربية وقطاع غزة، وفي المنفى بالبلدان المجاورة؛ كالأردن ولبنان وسوريا ومصر. أما الفلسطينيون الذين بقوا في قراهم وبلداتهم والذين أصبحوا تحت السيطرة الإسرائيلية فعوملوا كمواطنين من الدرجة الثانية؛ بوضعهم تحت الإدارة العسكرية وأنظمة الطوارئ المطبقة عليهم، حيث تمت مصادرة أراضيهم وتقييد حركتهم، وأُجبر الكثير منهم على البقاء لاجئين داخليين ومُنعوا من العودة إلى القرى والبلدات التي أجبروا على التخلي عنها أثناء القتال.

خامساً، يرى الفلسطينيون أن قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة ألحق بهم ظلمًا تاريخيًا كبيرًا. فقد أعطى جزءًا كبيرًا من بلادهم للأجانب الذين لم يكن لهم حق في ملكية الأرض وقد كانوا أقل عددًا بكثير من المواطنين الأصليين ويملكون جزءًا بسيطًا من الأراضي فيها. كما أن رفض الفلسطينيين لقرار التقسيم لا يبرر رد المجموعات اليهودية المسلحة التي بدأت حرب عام ١٩٤٨ فعلاً عندما قامت بأعمال عدائية مسلحة ضد القرى والبلدات الفلسطينية غير المسلحة وغير المستعدة للحرب قبل وصول الجيوش العربية في ١٥ أيار/ مايو ١٩٤٨.

كما أن المجموعات اليهودية المسلحة لم تكن لتقبل بخطة التقسيم، بل كانت عازمة على توسيع حدود دولتهم و"تطهير" المناطق التي يريدونها من أجل دولتهم من أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين. فقد هدفت الخطط الحربية والعمليات العسكرية والتكتيكات؛ على سبيل المثال استخدام المدفعية ضد المدنيين في القرى والبلدات، والمذابح مثل دير ياسين، والدعاية الحربية كنشر الشائعات حول الهجمات الصهيونية الوشيكة والإبادة المحتملة للسكان، إلى إجبار السكان الأصليين على ترك منازلهم وأراضيهم.

سادساً: يؤمن الفلسطينيون أن اقتلاعهم من أرضهم كان متعمدًا ومخالفا للقانون الدولي وقرارات الامم المتحدة وبخاصة قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤، وأن للفلسطينيين اللاجئين هم وأحفادهم الحق المشروع في العودة إلى منازلهم وممتلكاتهم الأصلية أو تلقي تعويض إذا اختاروا ذلك. كما يؤمن الفلسطينيون بحقهم المشروع في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي بجميع الوسائل بما فيه المقاومة المسلحة طالما كان ذلك وفقا للأعراف الدولية والقانون الدولي.

سابعاً: يرى الفلسطينيون أن الاحتلال العسكري للضفة الغربية وقطاع غزة وممارساته المتعددة من سلب للأراضي والبناء الاستيطاني وقمع الفلسطينيين على يد قوات الاحتلال ودعم اعتداءات المستوطنين وحمايتهم تهدف إلى التطهير العرقي للفلسطينيين في الضفة والقطاع، والشاهد الأحدث هو جريمة الابادة الجماعية في قطاع غزة والتهجير في الضفة الغربية للسكان والتطهير العرقي في مدينة القدس بظل تواطئ دولي.

مكونات السردية الفلسطينية

فلسطين لشعبها من مسلمين ومسيحيين ويهود.

الحركة الصهيونية جزء من الاستعمار الغربي ووعد بلفور باطل.

بريطانيا وإسرائيل مسؤولتان عن مأساة فلسطين.

إسرائيل مسؤولة عن إجبار اللاجئين على الهجرة، وللاجئين حق العودة.

قرار التقسيم شكل ظلما للفلسطينيين لأنهم كانوا الأغلبية وامتلكوا الغالبية العظمى من الأراضي.

للفلسطينيين حق الدفاع المشروع عن النفس واللجوء لكافة أشكال المقاومة.

تعرض الفلسطينيين الدائم للتطهير العرقي في الضفة الغربية، والابادة الجماعية في قطاع غزة.

٩ أنظر/ي النظر بعين الآخر: الرواية التاريخية للفلسطينيين والإسرائيليين What Fosters and What Hampers Sustainable Peace Education.

١٠ سيُستخدم مصطلح «الصراع» في هذه الورقة دائمًا للإشارة إلى الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين؛ أي أن حالة إسرائيل-فلسطين تتمثل في وقوع فلسطين تحت استعمار استيطاني احلالي اسرائيلي (صهيوني).

مسارات السردية والأدوات المستخدمة

شكلت النكبة وآثارها على الشعب الفلسطينية لحظة فارقة في بناء السردية الفلسطينية القائمة على الهوية الوطنية لجمع الشتات في التجمعات السكانية المتفرقة التي لا يوجد تواصل اجتماعي وثقافي وسياسي واقتصادي بينها، وتسودها حالة من العجز والضياع وعدم الأمن، ناهيك بالفقر والجوع، والقلق والخوف من المستقبل. وبات فكرة العودة مركز اهتمام الفلسطينيين بالتوازي مع رفضهم سياسات الاندماج في الدول العربية. فقد شكلت حالة اللجوء والتشرُّد الهوية الفلسطينية الثقافية المعاصرة حيث أدّت العائلة الفلسطينية اللاجئة ومخيمات اللجوء دوراً بارزاً في ذلك، إذ عززت تجربة اللجوء إحساس الفلسطينيين بالتضامن كوسيلة للحفاظ على الهوية والوجود وكردٍّ على انعدام الأمان لديهم، وهذا ما ساعد على بناء الذاكرة الجماعية لديهم، وأصبحت الذاكرة بديلاً من الأرض التي سلبت.

وساهمت الذاكرة وتوارثها جيلاً بعد جيل؛ بوجود عدد من الكتاب والشعراء ونخبة سياسية عملوا على تنمية الشعور الجمعي وبلورة الهوية الفلسطينية، على الذاكرة الوطنية وما يصاحبها عند سردها للأجيال من مشاعر عاطفية جياشة ودموع وحسرة وألم على ضياع الأرض والوطن. استطاعت الهوية المتخيلة أن تخلصهم من الشعور بالعجز والضعف والدونية، وتقوّيهم على رفض الإهانة والذل، وتساعدهم على الاندماج في جماعة واحدة تتشارك المصير والقيم والتقاليد والأهداف نفسها، الأمر الذي حقق لهم كفلسطينيين شعوراً بالأمن الاجتماعي والمحافظة على بقائهم أمام سياسات التذويب والانصهار، وفي مواجهة محاولات الإقصاء والتهديد الدائم لوجوده.

مسارات موجهة للشعب الفلسطيني في الداخل والشتات

تم انشاء العديد من المبادرات لمخاطبة الجمهور الفلسطيني بشكل رئيسي في الشتات في إطار توحيد السردية أو تثبيتها عبر خلق الروابط بين الفلسطينيين، مثل؛

الجمعيات القائمة على احياء الروابط الاجتماعية: ساهمت المبادرات المتعلقة بإنشاء جمعيات روابط أبناء القرى والبلديات المهجرة في التجمعات المختلفة للحفاظ على السردية الفلسطينية والحفاظ على الذات وإعادة الروابط الاجتماعية بين أبناء القرى المهجرة عبر بناء جمعيات تحمل أسماء تلك القرى وعناوين اجتماعية تستعيد الذاكرة وتحافظ عليها وتعيد احياء التراث الشعبي سواء من خلال انشاء متاحف تعرّف على القرية ومعالمها أو بفرق فنية للحفظ على الفلكلور الفلسطيني. لكن تطور هذه الجمعيات اعتمد على مدى قدرة أبناء البلد وتوفر الدعم المالي من بعض رجال الاعمال منهم.

احياء التراث والفلكلور الشعبي: ساهمت الفرق الفنية، مثل الدبكة وفرق الغناء التراثي والمسرح، المقامة من قبل مؤسسات وطنية كالفصائل الفلسطينية والاتحادات الشعبية والجمعيات الثقافية في مناطق متعددة بالعالم في التعبير عن الثقافة الفلسطينية والهوية الوطنية كإطار جامع للفلسطينيين، ومحاولة لفت الانتباه للتراث الفلسطيني.

مبادرات للربط الفلسطينيين بالأرض مثل مبادرة "كُنا وما زلنا": تشكل مبادرة كُنّا وما زلنا" وهي مساهمة في تأريخ واقعة نهب إسرائيل أراضي فلسطينيين وبيوتهم وحقولهم وممتلكاتهم ومكتباتهم ومحفوظاتهم ومدّخراتهم عبر التوثيق البصري للحكاية الفلسطينية بتسجيلها مصوّرة؛ وذلك بإقامة الصلة والتواصل بين فلسطين في زمن نهبها والفلسطينيين من أجيال الأبناء والأحفاد ممن كان أجدادُهم هناك، أو كانوا هم في طفولتهم ويفاعتهم الأولى هناك، بحيث تنتقل من موقعها في ذاكرة، أو صورةٍ قديمة، أو وثيقة، أو خبرٍ في صحيفة، إلى موقعها في صورةٍ جديدةٍ يتم توثيقها مع هؤلاء الفلسطينيين ممن توزّعوا في شتاتٍ فسيح في كل العالم.

مسارات موجهة للمجتمع الدولي لخلق تضامن مع القضية الفلسطينية

هناك العديد من المبادرات من قبل الفلسطينيين الموجهة للمجتمع الدولي وعرض السردية الفلسطينية منها؛

التواصل مع السياسيين والبرلمانيين الأجانب: تمثلت هذه المبادرة بالتواصل مع السياسيين والبرلمانيين بهدف التعريف بالقضية الفلسطينية وبخاصة التطورات الانية وعرض وجهة النظر الفلسطينية من قبل مؤسسات مجتمع مدني فلسطينية تتولى التواصل المباشر والالكتروني عبر البريد الالكتروني "E-mail Group " بشكل دائم سواء بزيارات للبرلمان الأوروبي وأعضاء الكونغرس الأمريكي أو تقديم العرائض عبر البريد الالكتروني لعرض الانتهاكات الإسرائيلية والتعريف بالقضايا الفلسطينية باتجاه تبني مواقف تؤثر على سياسات حكوماتهم.

مبادرات شبابية عبر الفضاء الالكتروني للتعريف بالقضية الفلسطينية : جرى في السنوات الأخيرة توظيف الأدوات التقنية والديجيتال وتكنولوجيا المعلومات وAI والمنصات اللازمة، عبر سرد الشباب لقصصهم وتجاربهم الشخصية والمجتمعية، والتركيز على الأصوات المهمشة، وبناء جيل جديد قادرين على التأثير في المجتمعات الأخرى من خلال نقاشات محلية وعالمية. بهدف تحدى بعض المفاهيم الخاطئة عن فلسطين، وعرض حالات الابداع والمهارات كتسليط الضوء على فلسطينيين مميزين، وبناء أواصر التواصل بين المجتمعات الأخرى، أو التعريف بالتراث الفلسطيني كالطعام الشعبي الفلسطيني مثل مبادرة داجون باستخدام فنون الطهي في مهمة لاستعادة الروايات الفلسطينية من خلال الطعام " Dagon – Flavours of Palestine"، أو عرض أنواع المعاناة بشكل ساخر مثل موقع مطار فلسطين الدولي "International Palestinian Airport".الذي يعرض معاناة الفلسطينيين في التنقل بين المدن أو السفر للخارج.

الخلاصة

تظهر تجربة الفلسطينيين أن الأدوات المستخدمة في بناء السردية الفلسطينية وترسيخها لدى الفلسطينيين في مناطق تواجدهم المختلفة أو البيئات المتعددة للربط بين الأجيال المتعاقبة وخاصة الشابة منها بالوطن عبر مسارات متعددة، أو تلك الأدوات المستخدمة لإظهار الرواية الفلسطينية والحق الفلسطيني المبني على التاريخ الموثق والمشاهدة العملية، ساعدت على تقديم سردية فلسطينية. لكن هذه المسارات والأدوات ما زال ينقصها عدد من التتمات الوافية لتعزيز الروابط ولتعظيم التضامن خاصة أن أغلب هذه المسارات بنيت على أساس مبادرات فردية وتعتمد على تمويل ذاتي وتبرعات غير ثابتة، وأن تصاعد المبادرات تأتي بشكل موسمي ترتبط بحصول أزمة أو كرد فعل على همجية الاحتلال الإسرائيلي كما حصل على سبيل المثال بعد تشرين الثاني/ أكتوبر ٢٠٢٣.

هذه المبادرات لا يُعيبها ذلك، بل أن مزيد من المبادرات قد يكون مفيدا لإظهار التنوع والتعدد وفتح الافاق للمبادرات من جهة، ووضع آليات تنسيقية للمبادرات المتشابهة لتعظيم الاستفادة من تجارب المبادرات والأشخاص لضمان الاستمرارية وتطوير القدرات هذه المبادرات من جهة ثانية. وفي هذا الإطار فإن نتائج ورشة عمل "ميرون" التي نظمها مركز رؤى للدراسات السياسية والاستراتيجية في الفترة ١-٢٠٢٤/٤، والتي ضمت عددا من الشباب والشابات من تجمعات فلسطينية مختلفة أدت إلى تقديم عددا متنوعا من المبادرات لتعزيز وتعظيم مسارات العمل في إطار السردية الفلسطينية وهي على النحو التالي:

المبادرات المُقترحة:

مبادرة "شبكة جمعيات روابط أبناء القرى المدمرة" تقوم على انشاء شبكة تنسيقية تجمع الجمعيات المعنية بالقرى المهجرة تهدف إلى تبادل الخبرات ورفع فعالية الجهود التي تقوم بها، وتطوير الأفكار المتعلقة بوظائفها وأدواتها التوثيقية لحياة هذه القرى سواء على مستوى التراث الشعبي أو المادي كجمع وثائق الملكية لممتلكات أهل البلدة أو إعادة رسم خرائطها وتجسميها.

مبادرة لجمع فنانين "فلسطينيين وغير فلسطينيين" للفن الغرافيتي للتعبير عن التراث الفلسطيني المادي والمعنوي مبني على توثيق للوقائع، وقادر على مخاطبة المجتمعات بلغات مختلفة.

مبادرة "المنصة الجامعة" تقوم على بناء إطار/ منصة تجمع الفلسطينيين من أماكن الوجود المختلفة لربط المبادرات والموارد والأفكار.

مبادرة "تراب" يقوم على جمع عينات تراب من القرى والمدن الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨ كدلالة رمزية على ارتباط المهجرين بالمكان.

مبادرة الذاكرة والمكان "بناء شبكات للتجوال" تهدف إلى توثيق العلاقة بالمكان "القرى والبيوت والأرض والأشجار" لربط الذاكرة الفردية بالجماعية؛ يمكن الاستفادة من تجربة مبادرة (كُنا وما زلنا) وتعميم هذه التجربة خاصة في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ بتعدد المجموعات المنفذة لهذه المبادرة، وتوفير اللوجستيات لمن يرغب من الفلسطينيين بزيارة ممتلكات أهلة في المدن والقرى المختلفة، عبر انشاء موقع الكتروني يتيح التواصل ويقدم نماذج لمثل هذه الزيارات.

مبادرة "التمثيل البصري لبناء الذاكرة" تقوم هذه المبادرة على تطوير نماذج VR لإعادة تمثيل البيوت والقرى المهجرة والمدمرة بناء على الرواية الشفوية، وربط السرد الشخصي بالتمثيل البصري.

مبادرة "منصة السردية الفلسطينية" معنية بالسردية الفلسطينية بلغات متعددة توثق السردية الفلسطينية ومكونتها وتقديم توثيق وتحليل التحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الفلسطيني في التجمعات المختلفة له، ويشمل مادة تدريبية أو اقتراح دورات تدريبية الكترونية منتظمة.

مبادرات "ملتقيات" تتضمن إمكانية عمل لقاءات "مخيمات" في فلسطين وخارجها للمعايشة ولرفع الوعي لدى الأجيال الشابة في السردية الفلسطينية وأدوات تعظيم الاستفادة منها لتعزيز التضامن الدولي

مبادرة "محطة أو مختبر" يتولى توفير الدعم اللوجستي لتخليق الأفكار وتقديم تسهيلات للمبادرات في مجال حملات الضغط والمناصرة والتأثير على المستوى العالمي وبخاصة عبر أدوات الفضاء الالكتروني والديجتال مع التركيز على اللغات الأجنبية.

© حقوق الطباعة والنشر محفوظة لمركز رؤى للدراسات السياسية والاستراتيجية.
2026